"تطلعات بشرية" للمحامي الأستاذ عبدالله شرف الدين

مقدمة

بقلم ابراهيم الهنقاري

تفضل الصديق العزيز الأستاذ عبدالله شرف الدين المحامي ورفيق النضال من أجل أمة عربية واحدة كلفها الله سبحانه وتعالى وشرفها بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم كله، ومن أجل ليبيا حرة ومستقلة وذات سيادة حقيقية كاملة غير منقوصة، تفضل بتشريفي بكتابة هذه المقدمة المتواضعة لكتابه الذي اختار أن يسميه "تطلعات بشرية" وهو فعلا يعبر عن تطلعات الكاتب

لمعرفة الحقيقة وللحصول على أجوبة مقنعة ومقبولة للعديد من الأسئلة الحائرة التي ظلت البشرية تبحث عن الاجابات الصحيحة عنها من لدن آدم أبي البشر إلى يوم الناس هذا.

الأستاذ عبدالله شرف الدين دارس القانون والمهتم بشؤون وحقوق الإنسان كرس حياته كلها لمهمة واحدة هي الدفاع عن حرية الإنسان وكرامته ايا كان موقعه في أرض الله الواسعة. دافع عن المظلومين والعمال والمحرومين في ليبيا. دافع عن المضطهدين في دولة جنوب افريقيا. ترأس أول منظمة دولية تابعة للأمم المتحدة تطالب بإلغاء جميع أنواع التمييز العنصري في العالم وهي منظمة " ايفورد / EAFORD " ومهمتها الرئيسية هي القضاء على جميع أنواع التمييز العنصري في العالم وصار واحدا من الرجال الذين كرسوا حياتهم للدفاع عن القيم الإنسانية العليا التي جاءت بها الأديان السماوية واستقر عليها فكر الإنسان المتحضر بعد سلسلة طويلة من المحاولة والفشل قام بها أنبياء وفلاسفة ومفكرون ومصلحون عبر التاريخ البشري كله.

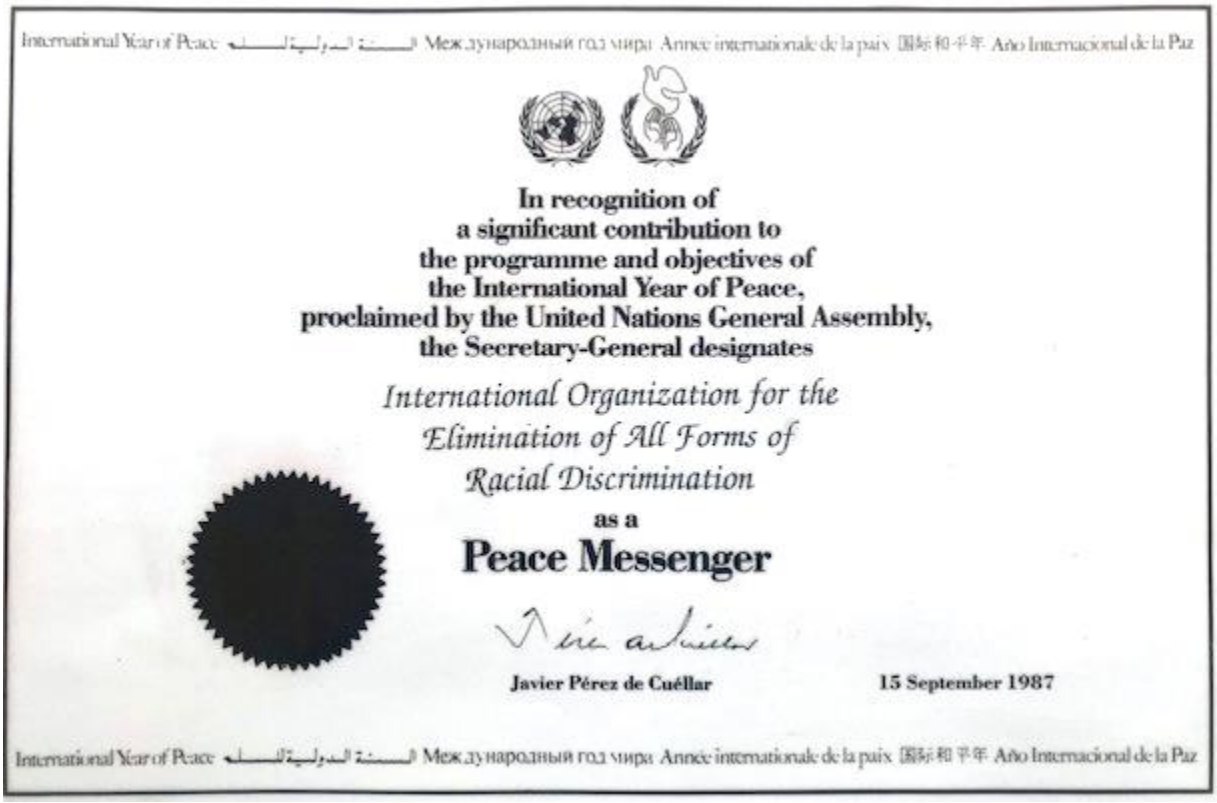

ومن هنا جاء اهتمامه بالبحث عن أصل هذا الكائن المسمى بالإنسان وهل جاء حقا إلى الحياة طبقا لنظرية النشوء والارتقاء المعروفة أيضا بنظرية داروين أو أنه خلق منذ البداية كائنا متميزا ومنفردا بذاته الخاصة "بيد" الخالق الباري المصور!؟

وقد شغلت محاولة المؤلف الإجابة عن هذا السؤال الكبير والهام وبالغ التعقيد والصعوبة جزءا كبيرا من هذا الكتاب. طرح الأسئلة عن الخلية الأولى وكيف وجدت وعن حقيقة آدم أبي البشر

وعن نظرية النشوء والارتقاء وذكر العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الخلق وعن الخالق. ولكن الحقيقة تظل غائبة وسرا يتجاوز فيما أرى قدرة الإنسان جاهلا أو متعلما على فهمها واستيعابها على وجهها الصحيح. ولا يزعم المؤلف أنه قد وجد الإجابة الشافية والكافية عن هذا السؤال الصعب. بل يترك تلك الأسئلة تأخذ مجراها الطبيعي في عقل القارئ على المزيد من التفكير.

ويتساءل المؤلف عن الأسباب التي تجعل الإنسان يمارس الاضطهاد والظلم ضد أخيه الإنسان. وما إذا كان دافع الشر والجريمة عنصرا أصيلا في السلوك البشري أم هو وليد التقلبات والظروف التي مر بها الإنسان عبر التاريخ!؟

ويجد القارئ لهذا الكتاب كيف استطاع الكاتب بأسلوبه المميز أن يستفز القارئ ويدفعه دفعا إلى التفكير في أصل الخلق وعلاقة ذلك بالجريمة أو الاعتداء على كرامة الإنسان بصورها المختلفة. وتلك من القضايا الكبرى التي شغلت اذهان المفكرين والفلاسفة والمهتمين بأسرار الوجودين الكوني والبشري عبر التاريخ الإنساني كله.

كانت البداية كما يرويها لنا القرآن الكريم ذلك الخلاف الذي نشب بين قابيل وأخيه هابيل ابني آدم عليه السلام والذي انتهى بقيام قابيل بارتكاب أول جريمة قتل عرفتها البشرية حينما أقدم على قتل أخيه هابيل بسبب رفض الرب قبول القربان الذي قدمه قابيل بينما قبل القربان الذي قدمه هابيل وقد أقدم قابيل على ارتكاب هذه الجريمة رغم علمه بأنه لا دخل له ولا لأخيه هابيل بعملية القبول التي تعود إلى الرب وحده سبحانه وتعالى. وصدق الله القائل: "قتل الإنسان ما أكفره".

ولعله من المفيد أن نلاحظ هنا أن الإشارة إلى الخلق قد وردت في سياق أول خمس كلمات انزلت من القرآن الكريم في سورة "اقرأ". قال الله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق". وهنا يقرر القرآن الكريم أن الله وحده هو الخالق وأنه ليس هناك من خالق سواه. فهل هناك علاقة بين هذه الكلمة وترتيبها بين كلمات آيات الكتاب المبين والحواس الخمس التي وضعها الله سبحانه وتعالى ضمن الأسرار العديدة والمعقدة للإنسان الذي خلقه الله من طين لازب ثم من علق فأصبح ذلك الكائن الغريب الذي خلق من علق هو ذاته الكائن الذي وصل إلى الفضاء وقام بهذه الثورة غير المسبوقة في مجالات الطب والاتصالات والمواصلات حتى أصبح الكون على اتساع مداه قرية صغيرة تسيطر عليها تلك "العلقة"!؟

وردت الإشارة إلى الخلق 231 مرة في القرآن الكريم مما يدل على أهمية هذه القضية. غير أنه لا يوجد مخلوق واحد من المخلوقات بمن فيهم الإنسان يعرف على وجه الدقة كيف خلق!! قد يعرف الطب الحديث مراحل الخلق بالنسبة للإنسان وبالنسبة لبعض الكائنات الأخرى ولكن عملية الخلق ذاتها ستظل سرا من الأسرار التي لا يعلمها إلا الخالق سبحانه وتعالى. وفي هذا

الكتاب يركز المؤلف الأستاذ عبدالله شرف الدين على سلوك هذا الإنسان بقدر ما يركز على أسرار خلقه.

لا شك أن القارئ سيجد بعض الإجابات في هذا الكتاب عن الأسئلة التي تدور في أذهاننا جميعا حول هذه القضية الشائكة كما سيجد نفسه حائرا بين كل هذه الأسرار التي لا يعلم حقيقتها إلا الخالق نفسه سبحانه وتعالى.

المرحوم عبدالله شرف الدين